

# السَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ الْمَعاصر

## وهداية مواقف إزار الحرثية

بقلم أرويسيت

- ١ -

كيف أُنحرر من سيادة الاجنبي ؟ كيف اوفق بين التراث والتجاوز ؟ كيف أُوحد بين الحلاج ولينين ؟

ينته ، الى تمامه بالتححرر في الداخل ، وابتكار اشكال وصيغ نامية جديدة لحياة آخذة بالنمو والتجدد . وجاءنا هذا العبء لحظة يتعمق الصراع مع السيادة الاجنبية ، ويتعمد ، اذ ينقلب الى صراع خفي ، بوجه متمسدة واقنعة متعددة . ويرى جيلنا الشعري الى حياته كيف تنشق من جديد ، وكيف انه يخوض معركة يحارب فيها اجنبيا يتقنع هذه المرة بقوى عربية ، محميات او محظيات ، يزرکشها الاستعمار العشيق بالمال والسلطان كالدمي . ويكتشف جيلنا ان خياره هو بين ان يتحول الى دمية او يكون انسانا .

هذه ، فيما يخيل الي ، اهم الاسئلة التي تشغل الشاعر العربي المعاصر . السؤال الاول يطرح مشكلة الاستعمار . والسؤال الثاني يكشف عن مشكلة العلاقة بين الابداع والتراث ، ويكشف السؤال الثالث عن كيفية التوحيد بين الثورة كفكر يغير ، والثورة كنظام يبني .

- ٢ -

- ٢ -

فيما يخوض الشاعر العربي هذه المعركة مع السيادة الاجنبية ، يخوض معركة التححرر من القوالب السلفية التي تحاول بدورها ، ان تشله وتعزله عن حركة التاريخ ، وعن التغير ، وتبقيه في ابدية الثبات . هذه القوالب السلفية في الفكر والحياة معا ، تتحول الى دعائم تشارك ، بشكل او آخر ، في الحيلولة دون تحقيق التححرر الكامل ، اي تشارك في تمكين السيادة الاجنبية من الاستمرار ، بشكل او آخر .

يعاني العربي مشكلة الاستعمار منذ حوالي خمسة قرون . في الحقبة الطويلة سلب كل شيء ، الا جوهره الذي بقي نارا تشتعل تحت رماد الايام . وعاش العربي طوال هذه الحقبة ، بلا ارض ولا ثقافة : غريبا عن ملكه ، وغريبا عن ذاته . وفي بدايات هذا القرن أخذت النار الكامنة تظهر وتنمو وتنتشر كالعشب . ومن حظ الشعراء العرب الذين ولدوا في هذا القرن انهم نشأوا مع النار وكانوا جزءا منها . فالنصف الاول من هذا القرن ، بل هذا القرن كله ، ليس بالنسبة الى الشاعر العربي المعاصر ، تطلعا الى الحياة بحد ذاتها ، بقدر ما هو تطلع الى الحرية . كان عليه ان يبدأ كل شيء . ان يتحرر من الضنار وان يستعيد شخصيته في الداخل . كانت الحرية كلا وكانت تعني له الانعتاق ، على مستويات الانسان والحضارة جميعا . وغلب عليها باديء بدء طابع التححرر من سيادة الاجنبي ، والاستقلال ، والسيادة القومية ، وكان الشاعر العربي جزءا حيا في نسيج القوى التي تفجر حركة التححرر او تغنيها او تصفها . وكان ، فيما يرسم الحرية السياسية والقومية ، يرسم الحرية الاجتماعية والفكرية . وكانت الكلمة ذاتها تتوتر تحت ريشته وتنعتق تماما كما تتوتر حياته وتنعتق . كان يحطم القيود قي الموضوع والتعبير معا . وهكذا رافقت الثورة على سيادة الاجنبي الثورة على سيادة التقاليد والاضاع الفاسدة ، سواء في الحياة او الثقافة .

تتجسد هذه القوالب السلفية في قوى الرجعة والتقليد ، وهي ما تزال تسيطر الى حد كبير على الحياة العربية . هذه القوى لا ترى كمالات الا في الماضي . فليس التقدم عندها في السير نحو المستقبل ، وانما هو في العودة الى الماضي . مثلها الاعلى نظريا هو الايمان المطلق بكمال الماضي . وهو ، عمليا ، الخضوع للمؤسسات السياسية او الدينية او الاجتماعية التي تمثله .

ولئن كان الابداع كشفا ، فان المبدع اذ يرفض حياة الرجعة والتقليد ، ينقدها ويعريها ، بحيث تبدو على حقيقتها . لكن هذا يززعها ، لانه يكشف ابعادا تريد ان تبقى مطموسة ، لئلا تفقد طمأنينتها وتوازنها . هكذا تؤثر الجهل والكذب والرياء ، وتفضل الثبات . كل ابداع تغيير ، او دعوة اليه . وهو ، جوهريا ، صدق . ومن هنا تنفر قوى الرجعة والتقليد من المبدعين ، وترى فيهم هدامين وفوضويين وتعمل على عزلهم .

هكذا تكافح ، بمختلف الوسائل ، لكي تفرض عالم القبول : يتعطل الحس النقدي ، ويبطل التمييز بين القديم

وقد ورثنا ، نحن هذا الجيل الحاضر من الشعراء ، عبئا كبيرا مزدوجا : ايصال التححرر من الخارج وهو لما

وتتمازج معه فيما تنفرس في الحضور . الشعر هنا رباط خلاق بين الحاضر والمستقبل ، الحضور والغيب ، الزمن والابدئية ، الواقع وما وراء الواقع .

على ان هذا البعد سيغير المقاييس والقيم لانه يفتح فيما وراء الاشكال والصيغ عهداً جديداً من التجربة الابداعية في الشعر العربي . اعني ان الابداع لن يمكن تقييمه بمقاييس الماضي ، وان الطريقة النقدية التقليدية في فهم الشعر الجديد وتقييمه ستكون باطلة لا تجدي . فلكل ابداع جديد تقييم جديد . لكل رؤيا جديدة فهم نقدي جديد . ستكون قيمة النقد متعلقة بقدرة الناقد على الفوص في التجربة الجديدة بحد ذاتها ، وضمن حدودها ، وفهمها واستخلاص معناها ، وتقييمها . وهذا يعني ان الناقد الجديد مسوق الى ان يلغي من ذهنه الشعر من اجل ان يثبت الشاعر : ليس هناك شعر وانما هناك شعراء . وبقدر ما تكون تجربة الشاعر فريدة أي بعيدة عن الماضي ، ستكون علامة على الاصاله والتغير ، أي قربية الى الماضي في الوقت ذاته . فبين الشعر العربي الجديد والشعر العربي القديم صلات اعمق واغنى مما بينه وبين الشعر العربي المعاصر الذي ينسخ القديم ويكرره . فالتاريخ هناك حي ، وكذلك الزمن والانسان . والتاريخ هنا واقف ميت ، وكذلك الزمن والانسان .

واذا كان هذا يؤكد حرية الشاعر ازاء الماضي ، فهو يؤكدها ، بالاحرى ، ازاء الحاضر . والسؤال الذي يشغل الشاعر على هذا المستوى مزدوج : كيف يحدد علاقته بالماضي ونظامه ، وبالحاضر ونظامه . او بعبارة ثانية : كيف يفسر الشاعر تجاوز الماضي من جهة ، وكيف يحدد علاقته بالثورة - التغير ، وبالثورة - النظام من جهة ثانية ؟

ان تجاوز الماضي لا يعني تجاوزه على الاطلاق ، وانما يعني تجاوزه لاشكاله ومواقفه ومفاهيمه وقيمه التي نشأت كتعبير تاريخي عن الحالات والاضاع الروحية والثقافية والانسانية الماضية ، والتي يتوجب اليوم ان يزول فعلها لزوال الظروف التي كانت سببا في نشوئها . فلم يعد الشاعر العربي ينظر الى الماضي كنموذج للكمال ، او كقدسية مطلقة . صار يهونه بقدر ما يدعوه الى الحوار معه ، ويقدر ما تبدو الطريق التي فتحتها طريقنا ، نحن اليوم كذلك ، ويقدر ما يضيئنا ونحن نسير في عتمة الحاضر ، صوب المستقبل . هكذا يؤخذ الشاعر العربي الجديد ، من اصوات الماضي ، بتلك التي تعانق المستقبل فيما كانت تعانق حاضرها وتعبر عنه . فمثل هذه الاصوات مفتوحة أبداً للحوار والنمو والفعل ، بحيث اننا لا نقدر في تفكيرنا اليوم الا ان نتلاقى بها ، ونفيد منها ، ونتفاعل معها . وفي هذا لا نعاكس المجرى الذي يحفره نهر الابداع في اتجاه المستقبل ، وانما نصبح كمن يسير في هذا المجرى بفتوة ابدية .

أما من ناحية العلاقة بين الشعر والثورة ، فان علينا

والجديد ، الماضي والحاضر ، الثبات والتغير . ويسيطر كمال الماضي وقيمه . ويدوب كل ابداع فيها ، لكي يتم القضاء على كل بدعة أو خروج على السلف . ولا تعود هناك حاجة الى الكشف ، أو الى آفاق فكرية جديدة . وتنعدم التجارب الشخصية ، وتنعدم الحرية .

وتجد قوى الرجعة والتقليد في نظرية الشعر لذاته ، ما يفيدها لانها تجد في كثير من الشعر السذي يصدر عنها ما يوفر المتعة والتسلية ، وما يلهي . فالشعر ، بحسب هذه النزعة ، لا يكتب لكي يقدم رؤيا جديدة ، أو يفتح أفقا جديداً ، أو يعبر عن تجربة اسانية جديدة . وانما يصنع خصيصا لكي يقدم طرآفا ومصوغات . وهو ، لذلك ، يدور في اطار ذهني تجريدي ، خارج الحياة والتاريخ . الشعر هنا لا يعبر أو يشارك أو يرى ، بل يمتنع ويصنف ويضطلع . وقوام الشعر هنا هو اللعب لا الواقع ، والكلمة لا الانسان . واذ تنعزل الحركة عن الواقع ، تصير تكرارا فارغا . واذ تنعزل الكلمة عن الانسان تبطل أن تكون وسيلة ابداع وتفجر لتتحول الى وسيلة صنع وزخرفة .

هكذا يبدو ان جوهر هذه النزعة هو القالبية والثبات . وهي تؤدي الى ان يصبح العالم لعبة ، والى أن تمتزج الحرية بالاعتباط . ومن هنا تؤدي بمن يصدر عنها ، الى أن يحيا هامشيا ، بلا مسؤولية ، في معزل عن عصره وأحداثه ، وعن الانسان نفسه . وهي ، بالتالي ، تولد الشك في معنى الشعر ذاته ، أي في الحرية ذاتها . فهي تصبح شكلية : دمية ، ليس لها أي بعد أو انفراس في الحياة . تصير حرية استمتاع واستسلام . وتلتقي الشكلية الجمالية هنا مع التقليدية القالبية في التشكيك بالتغير والثورة ، وفي فصل الشعر والشاعر عن الحياة والانسان ، وابقائهما في اطار زخرفي تزييني ، خالص . ذلك ان الشكلية الخارجية لا تعني في التحليل الاخير شيئا غير التكرار ، أي غير حالة من الثبات - النظام - تأسر الشاعر في أقصاهما البراقة . وفي هذا الاسر لا يعود الشاعر الا صدى أو رجعا لآلية هذه الحالة .

- ٤ -

التاريخ هو التغير . تاريخ الشعر هو أشكاله الجديدة . تاريخ الحساسية الشعرية العربية هو تغيراتها . حيث لا يكون تغير ، يكون الانسان واقفا والزمن واقفا : يكون الانحطاط . والتغير هنا كلي : أفقي وعمقي في آن . تغير في البناء والعبارة والتركيب الخارجي . وتغير في النظر والرؤيا . ويبدو لي ان البعد الاساسي الذي يتخذه هذا التغير في الشعر العربي المعاصر ، هو ما يمكن أن أسميه **التخييل** . وأعني بالتخييل القوة الرؤياوية التي تستشف ما وراء الواقع ، فيما تحتضن الواقع . أي التي تطل على الغيب وتعانقه

أن نميز بين الشعر من أجل الثورة ، والشعر الثوري ،  
أو الشعر - الثورة .

فيما يعاني الشاعر العربي المعاصر هذه المشاكل  
التي تكتنف عنها تلك الاسئلة الثلاثة ، يتوحد بالثورة  
والحرية ، بالثورة - الحرية التي تحرك الواقع وتغيره ،  
والتي تتخطى عناصرها ذاتها : البروليتاريا والدولة وقيم  
التاريخ والطبقة والثقافة ، الى رؤيا حياة بلا طبقات  
ولا دولة ، حيث تنتهي سيطرة الانسان على الانسان  
وتسود اخلاق الحرية والمسئولية الشخصية ، بديل  
اخلاق السلطة والعقاب ، ويصير الشعر عملا آخر ،  
والعمل شعرا آخر .

وكما ان الشاعر والثائر واحد ، كذلك الشعر  
والثورة واحد . الثورة فعل برؤيا ، والشعر رؤيا بفعل .  
معا يوقظان الحاضر ويقودانه الى عناق ما يأتي .  
وما يأتي انسانية عادلة مبدعة حرة . انسان يعيد  
ابتكار كل شيء فيما يمد جذوره في الآتي بلا نهاية . وفي  
هذه البقعة العربية كثير مما يغذي فينا هذه اللانهاية .  
هكذا يتحد الشاعر بدفعة الحياة ، فيما وراء المنطق والعقل ،  
حيث تصبح الطبيعة كأننا لنا ، يسمعه ويستجيب له .  
فهي أرض ولادة ونبوة . والانسان فيها مسكون فطريا  
بالغيب أي بالمستقبل وما وراء الواقع . المعلوم عنده  
عتبة لغير المعلوم . النهاية مدخل الى اللانهاية . هكذا  
يتحدث مع الحجر ، يمتطي الهواء ، ويسير على الموج .  
يوقظ الاسرار النائمة في الاشياء ، ويحركها لكي تتفتح  
وتقبل الينا . يغير نظام العالم ، ونظام الكلمة . فليس  
شاعرا من لا يكون تغيير العالم في أساس حدسه ورؤياه :  
من لا يكون ثائرا .

هذا الشعر الثورة ، هو شعر الحركة والتغير  
والتخطي ، شعر الواقع الشامل الذي يفتت عصرنا الميت  
لغاية واحدة : أن يولد عصر جديد آخر .

ادونيس

صدر حديثا :

# الذين لا يكونون

قصص

بقلم :

عائده طرجمي اديس

مشورات دار الاداب

٢٠٠ ق.ل

ان الشعر الذي لا يطمح الى أكثر من أن يخدم  
الثورة ويفيدها ويقلدها ، واصفا منجزاتها وأهدافها  
بتفاؤل يصل أحيانا الى درجة السذاجة ، شعر يخون  
في النهاية روح الثورة ومعناها ، ويخون روح الحرية  
ومعناها . يخون الثورة لانها بطبيعتها في حاجة دائمة  
الى اعادة النظر في خطواتها ، الى التجدد لكي لا تجمد  
ففي المؤسسات والمنجزات **وتصير ماضيا** . والثورة لا  
تتجدد الا بقوة نقدية خلاقة ، تمنحها بعدا جديدا أو  
تدخل اليها دفعة جديدة . فهي لا تتجدد الا بالابداع  
والحرية ، بروح التساؤل والبحث والتخطي : بالشعر  
الذي يبدأ دائما - يحرك ، يثير ، يوحي . فالشاعر تائر  
بالطبيعة ، وليس شاعرا من ليس تائرا . فلا يقدر الشاعر  
أن يكون الا مع التغير . والخطر الذي يواجهه الثورة هو  
انها منذ أن تصبح نظاما تصبح سياسة . والسياسة  
قد تقبل كل شيء كل لحظة . بينما الشعر يعيد النظر ،  
كل لحظة ، في كل شيء . والسياسة تعنى بالعمل ، في  
حين يعنى الشعر ، بالكشف . وتهتم السياسة بالتنظيم  
والدعاوة ، ويهتم الشعر بتهديم الاطر الجامدة والتطلع الى  
مجال أرحب . وللشاعر الحلم والرؤيا ، وللسياسي  
التخطيط والتطبيق . والحرية للشاعر مطلقة ، وهي  
للسياسي صيغة أو معادلة أو وعد .

ومما يجب ان نذكره في هذا الصدد إن انعدام  
هذا التمييز لا يؤدي الى تشويه الشعر وحسب وانما  
يؤدي كذلك الى تشويه الحرية . فثمة شعراء يشردون  
أو يضطهدون ، بشكل أو آخر ، وثمة شعراء يسكتون ،  
بشكل أو آخر ، على هذا التشريد وهذا الاضطهاد .  
وفي ذلك ما يوحي بأن الثورة التي قامت على الحرية  
لا تقدر أن تستمر الا بخلق الحرية . وكما ان الثورة هي  
ثورة بالحرية أولا ، فان الشاعر شاعر بالحرية أولا . لست  
شاعرا حرا ان كنت وحدي ، في وطني ، أتمتع بالحرية .  
فلئن كان وجود الانسان يقاس بمدى حرته ، فان حرته  
تقاس بمدى حرية الآخرين . فالشاعر الذي يستمر  
في كتابة الشعر صامتا على الطغيان حوله ، يكون مشاركا  
في هذا الطغيان . والحرية كل : فلا تكتمل انسانية الانسان  
ما لم تكتمل حرته . والحرية كالابداع تبدأ دائما . اذ  
يبدع الشاعر قصيدة لا يخلق لغته من جديد وحسب ، وانما  
يخلق الى ذلك ، شخصيته من جديد . وحين تعلق هذه  
البداية الدائمة أو ترجأ أو تعرقل ، فان ذلك يعني تعليقا  
لوجود الشاعر نفسه ، أو ارجاء ، أو عرقلة . وكيف ننشئ  
وجودا صحيحا حرا ، بوجود معرقل مقيد ، بوجود  
لم يبدأ ؟